المحاضرة رقم 02: مناهج البحث العلمي

يلعب منهج البحث دورا أساسيا في تدوين معلومات البحث، فهو يلزم الباحث على عدم إبداء رأيه الشخصي دون تعزيزه بآراء لها قيمتها، والتقيد بإخضاع أي رأي للنقاش مهما كانت درجة الثقة به، إذ لا توجد حقيقة راهنة بذاتها، إضافة إلى الدقة في الاعتماد على الروايات والاقتباسات أو التواريخ غير الواضحة أو غير الدقيقة، وكذلك ضرورة الدقة في شرح المدلولات التي يسوقها الباحث.

أولا: مفهوم المنهج العلمي:

يعتبر المنهج العلمي أسلوبا واحدا أو مجموعة من الاساليب المترابطة التي يعتمدها الباحث لدراسة ظاهرة أو مشكلة معينة تكون محور بحثه ، وذلك من خلال تنظيم أفكاره وتحليلها وعرضها للوصول إلى وقائع ونتائج، ويمكن وصف هذا الأسلوب بالمرحلية؛ فهو مؤلف من مجموعة مراحل متسلسلة تؤدي كل مرحلة منها إلى المرحلة التي تليها، وهناك مجموعة من العوامل التي تؤثر على اختيار أسلوب البحث المناسب، وهي: طبيعة إشكالية البحث، وأداة البحث التي يعتمدها الباحث، وحجم العينة التي يختارها ونوعها.

1. **تعريف المنهج:**

- **تعريفه لغة:** المنهج في لغة العرب، مأخوذ من فعل نهج، والنهج هو الطريق، ونهج لي الأمر: أوضحه، وفلان نهج سبيل فلان: سلك مسلكه، والجمع: نهج، ومناهج. وعلى هذا: فالمنهج في اللغة: الطريق الواضح أو الخطة المرسومة للسير عليها.
- **تعريفه اصطلاحا:** هو الطريق المؤدي إلى الكشف عن الحقيقة في العلوم بواسطة جملة من القواعد العامة التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته الفكرية حتى يصل إلى نتيجة معلومة.

وعرفه البعض بأنه " فن التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين، أو البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين.

2. **أهمية المنهج**: ترجع أهمية المنهج إلى كونه الطريق المأمون للوصول إلى العلم الصحيح، فهو وسيلة التثبت والتحقق في طلب العلم، وبدون المنهج السليم من البحث يشرد الذهن وتتحكم فيه الأهواء ويضل الطريق، ولا يعد الإنسان عالما ما لم يسلك منهجا عمليا يحقق به معلوماته وموضوعاته، ولا يكفي كما يقول ديكارت "أن يكون لدي الإنسان عقل سليم بل لابد أن يعرف كيف يستخدمه استخداما سليما " وعلى ذلك: فالمنهج العلمي هو الأساس الذي ينطبق منه الطالب في بحثه لحل المشكلة أو نقدها، أو إدراك الحقيقة، واختيار صحتها، ويشترط في المنهج العلمي ثلاثة شروط:

- أن يكون منهجا محددا؛
- أن يكون ملائما لموضوع البحث؛
- أن يكون متناسبا مع طاقة العقل وفي حدود قدراته.

3. الفروق الجوهرية بين المنهج والمنهجية

يخلط كثير من الطلبة فيما بين المنهج والمنهجية، لذا نجد أن كثيرا من الكتاب في الميدان البحثي، يسوقون المنهج على أنه المنهجية، أو العكس للأسباب التالية:

- المنهج هو خطوة متبعة من أجل الوصول إلى هدف معلوم.
- المنهجية هي علم الوصول إلى الحقائق العلمية بخطوات منتظمة، ويعرف البعض المنهجية على أنها (علم المناهج).

4. **خصائص منهج البحث العلمي** : تشترك مناهج البحث العلمي على اختلاف أنواعها في العديد من الخصائص والمميزات التي يمكن إجمالها فيما يلي:

- التنظيم في طريقة التفكير والعمل، القائمة على الملاحظة والحقائق العلمية؛
- التسلسلية والترابط في تنفيذ خطوات البحث المتتالية؛

- الموضوعية والبعد عن الخصوصية والتحيز والذاتية والميول الشخصية؛
- إمكانية اختيار نتائج البحث في أي مكان وزمان باستخدام المناهج العلمية ولكن ضمن ظروف وشروط مماثلة لحدوث الظاهرة؛
- معالجة الظواهر أو الأحداث التي تمخضت عن ظواهر أو أحداث مماثلة؛
- القدرة على التنبؤ، أي وضع تصور لما ستكون عليه الظاهرة قيد الدراسة في المستقبل.

5. أهداف مناهج البحث العلمي:

تتمثل أهداف منهج البحث العلمي في:

- البحث في المواضيع الإبداعية، واكتشاف أشياء غير مكتشفة من قبل.
- تلعب مناهج البحث دورا كبيرا في تقدم العلم، واكتشاف ظواهر جديدة، وتفسير الظواهر القديمة والتأكد من صحتها.
- إكمال البحوث الناقصة، والتي تخلى أصحابها عن إكمالها لأسباب مختلفة كالوفاة، وعدم وجود الأدوات في عصر الباحث، وعدم توفر الدعم المادي بين يدي الباحث.
- جمع الوثائق ودمجها مع بعضها البعض لتشكيل الأبحاث العلمية.
- إعادة صياغة معلومات قديمة بطريقة جديدة.

ثانيا: أنواع مناهج البحث العلمي: لقد اختلف الباحثون في الماضي والحاضر في تحديد معايير لتصنيف مناهج البحث العلمي، رغم أنه يوجد شبه إجماع على كثير منها، وأن اختلف في تصنيفها، ونذكر أهمها فيما يلي:

1. **المنهج التاريخي:** يركز المنهج التاريخي على دراسة أحداث وظواهر تمت في الماضي، ومازالت تحدث في الحاضر، ليقوم بتحليل وتفسير بيانات ومعلومات، ونتائج الدراسات السابقة بخصوص هذه الأحداث والظواهر، وذلك لتحديد التغيرات والتطورات التي تعرضت لها.

فالمنهج التاريخي لا يصف الظواهر والأحداث في الماضي فقط، بل يدرسها ويحللها ويفسرها بغية الوصول إلى حقائق، وتعميمات تساعد على فهم الماضي والحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

فالمنهج التاريخي بحكم دراسته للماضي، لا يمكن للباحث من استرجاع الظواهر والسيطرة عليها أو التأثير فيه، لذلك فإن النتائج التي يتم التوصل إليها، من خلال استخدام المنهج التاريخي، غالبا ما تكون غير دقيقة بالمعايير العلمية، لأنها غير كاملة، وتستند إلى أدلة وبراهين جزئية، وفيها نوع من الذاتية والشخصية، ورغم ذلك المنهج التاريخي ناقد وباحث عن الحقيقة، من خلال أسلوب علمي يبدأ بتحديد المشكلة، مرورا بوضع الفرضيات الملائمة، وجمع المعلومات والبيانات، وإخضاع الفرضيات للاختبار للوصول إلى النتائج المنشودة، والاعتماد على الملاحظة غير المباشرة، ولا ينقص من أهمية البحث، خصوصا إذا ما تم إخضاع البيانات للنقد والتمحيص الدقيق.

- **خطوات كتابة المنهج التاريخي:** يمكن حصر خطوات المنهج التاريخي في عدد من الخطوات المتسلسلة والمترابطة كما يلي:

-في البداية يجب أن يقوم الباحث بتحديد مشكلة البحث العلمي، ومن ثم يجب عليه أن يصوغ هذه المشكلة بطريقة محكمة وتعبر عن مشكلة البحث خالية من الأخطاء.

-كما يجب أن يحرص الباحث على أن تعبر مشكل دراسته عن العلاقة بين متغيرين على الأقل.

-الإضافة إلى ذلك يجب على الباحث أن يكون قادرا على تحديد البعد الزماني والمكاني لمشكلة البحث التاريخي الذي يقوم به.

-بعد ذلك يبدأ الباحث بمرحلة جمع البيانات، وخلال هذه المرحلة يعود الباحث إلى المصادر الأولية والثانوية والتي تناولت البحث التاريخي الذي يقوم به، كما يجب أن يحرص الباحث على التأكد من صحة هذه المصادر والمراجع.

-ومن ثم يقوم الباحث بنقد البيانات التي قام بجمعها، وينقدها بطريقتين الأولى خارجية من خلال نقده للمؤلف، فيحدد مدى موضوعيته، وهل إنجاز لجهة ما أم لم ينحاز، وهل قام بكتابة هذه الوثيقة مدفوعا برغبة عارمة منهن أم هناك من دفعة لكتابتها، كما يجب أن يتأكد من عدم وجود تناقض بين المعلومات التي تقدمها الوثيقة؛أما الطريقة الثانية فتتم من خلال نقده للوثيقة من الداخل حيث يقوم بالباحث بالتأكد من أن الوثيقة كتبت بخط يد الباحث الحقيق أم لا، وبلغة عصر ذلك الباحث، كما يتأكد من خلو هذه الوثيقة من التزوير.

-بعد ذلك يبدأ الباحث بكتابة نتائج البحث العلمي التي توصل إله من خلال بحثه العلمي، ومن ثم يقوم بعرض هذه النتائج تبعا لأهداف البحث وأسئلته.

-بعد ذلك يقوم الباحث بمناقشة نتائج بحثه العلمي، وتفسيرها بشكل منطقي.

-وفي نهاية البحث يقوم الباحث بكتابة ملخص يعرض من خلاله الخطوات التي سار عليها خلال قيامه ببحثه العلمي، والصعوبات التي واجهته خلال مسيرته، كما يقوم بكتابة توصيات البحث، والتي من الممكن أن يستفيد منها الباحثون الآخرون.

2. **المنهج الوصفي** : يهتم المنهج الوصفي بدراسة الظواهر والأحداث، كما هي من حيث خصائصها وأشكالها، والعوامل المؤثرة في ذلك، فهو يدرس حاضر الظواهر والأحداث عن طريق توصيفها، من جميع

الجوانب والأبعاد، ويهدف لاستخلاص الحلول وتحديد الأسباب، والعلاقات التي أدت إلى هذه الظواهر والأحداث، وكذلك تحديد العلاقات مع بعضها البعض، والعوامل الخارجية المؤثرة فيها، للاستفادة منها في التنبؤ بمستقبل هذه الأحداث والظواهر.

لقد استخدم المنهج الوصفي في العلوم الاجتماعية بشكل واسع، نظرا لما يتمتع به من مزايا حيث يقوم على رصد ومتابعة الظاهرة بدقة، وبطريقة كمية ونوعية في فترة زمنية معينة، أو لعدة فترات زمنية، من أجل التعرف على الظروف والعوامل التي أدت بحدوث ذلك، للوصول إلى النتائج التي تساعد في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل.

- **خطوات المنهج الوصفي:** إن خطوات تطبيق المنهج الوصفي في البحث العلمي، لا تختلف عن أي منهج علمي آخر، حيث يمكن إجمال الخطوات في تطبيق المنهج الوصفي كالتالي:

-في البداية يجب أن يقوم البحث بتحديد مشكلة البحث، ومن ثم يبدأ عملية جمع البيانات التي ترتبط وتتعلق بهذه المشكلة.

-بعد ذلك يقوم الباحث بصياغة مشكلة البحث على شكل سؤال أو عدد من الأسئلة، ومن خلال أجوبة هذه يتوصل الباحث إلى حل لمشكلة البحث.

-ومن ثم يقوم الباحث بوضع مجموعة من الفرضيات التي تساعده على الوصول إلى حل لمشكلة البحث.

-ومن ثم يقوم الباحث باختيار عينة الدراسة التي تناسب البحث العلمي الذي يقوم به، ويجب أن يكون الباحث عارفا بطرق اختيار عينة الدراسة التي تتناسب مع بحثه العلمي الذي يقوم به.

-ومن ثم تبدأ مرحلة جمع البيانات المتعلقة بالبحث العلمي، حيث يقوم بجمع هذه البيانات بطريقة علمية دقيقة ومنظمة.

-وفي النهاية يصل إلى مرحلة استخراج النتائج ووضع التفسيرات لهذه النتائج، ومن خلال هذه النتائج يقوم باستخلاص التعليمات التي سينشرها.

3. **المنهج التجريبي**: يعتمد على التجربة العلمية، كوسيلة للحصول على البيانات والمعلومات عن الظاهرة، لأن التجربة العملية هي منبع البيانات والمعلومات، بحيث يمكن التحكم في ظروفها ومتغيراتها، وبالتالي تطرح العلاقات السببية التي تحكم متغيراتها مع ذاتها ومع البيئة الخارجية.

وفي هذا المنهج دور الباحث لا يقتصر على وصف الوضع الراهن للظاهرة، بل يتعداه إلى تدخل واضح ومقصود من قبل الباحث بهدف تكرار حدوث الظاهرة من خلال استخدام إجراءات أو إحداث تغييرات معينة، ومن ثم ملاحظة النتائج الحقيقة، إن المنهج التجريبي يعمل على استقصاء العلاقات السببية بين المتغيرات المسؤولة عن حدود الظاهرة، أو التغير فيها بشكل مباشر أو غير مباشر، وذلك بهدف التعرف على أثر ودور كل متغير من هذه المتغيرات في هذا المجال، ومن أجل ذلك يقوم الباحث بتكرار التجربة التي يجربها عدة مرات وفي كل مرة يركز على دراسة وملاحظة أثر أي عامل أو متغير.

- **خطوات المنهج التجريبي:**

نظرا لطبيعة هذا المنهج تختلف خطوات البحث فيه عن المناهج الأخرى، التي تشمل تعريف وتحديد المشكلة وصياغة الفرضيات، أي تحديد نوعية المتغيرات وإجراء وتنفيذ التجربة.

-تعد الملاحظة أولى خطوات المنهج التجريبي، حيث يلاحظ الباحث ظاهرة تتكرر بشكل متكرر الأمر الذي يشعل في نفسه الرغبة لدراسة هذه الظاهرة واكتشاف سرها.

-فيقوم الباحث بإجراء عدد من التجارب التي تساعده على الوصول إلى تفسير منطقي وسليم لأسباب حدوث هذه الظاهرة.

-ومن ثم يقوم بوضع الفروض التي تتناسب مع الظاهرة التي يدرسها، وتلعب هذه الفروض دورا كبيرا في مساعدة الباحث للوصول إلى اكتشاف الحقيقة.

-ومن ثم يبدأ الباحث بمرحلة التحقق من هذه الفروض، ولكي يتأكد من صحتها عليه تكرار التجربة أكثر من مرة.

4. **المنهج الاستقرائي**: يعرف الاستقراء بأنه عملية يقوم الباحث من خلالها بجمع معلومات كثيرة حول الظاهرة التي يريد دراستها. ويدرس الباحث ظاهرة في هذا المنهج من الجزء حتى يصل إلى القاعدة الكلية ويعمم الباحث النتائج التي يتوصل إليها على مجتمع الدراسة أي أنه يقوم بتعميم النتائج الخاصة على النتائج العامة. ولهذا المنهج نوعين الاستقراء الناقص، وفيه يدرس الباحث جزء من الظاهرة ويعمم النتائج على الظاهرة كلها والثاني هو الاستقراء التام أو الكامل، والذي يدرس من خلاله الباحث الظاهرة من جوانبها المختلفة لكي يصل إلى النتائج، ويحتاج هذا النوع من الاستقراء إلى بذل الباحث لجهد أكبر.

ويعتمد المنهج الاستقرائي على الملاحظة بشكل رئيسي، حيث يقوم الباحث بجمع الملاحظات المتعلقة بالظاهرة ومن ثم يقوم بتحليلها. وتنقسم الملاحظات إلى ملاحظات مقصودة وأخرى بسيطة، وبعد أن ينتهي منها يقوم بوضع الفرضيات التي تقوده إلى النتائج. لكن يجب على الباحث أن يقوم بطرح عدد من الفرضيات ليختار منها الفرضية الملائمة والمناسبة له.

- **خطوات المنهج الاستقرائي**

- تعد الملاحظات هي أولى الخطوات التي يقوم فيها الباحث خلال المنهج الاستقرائي ،حيث يقوم الباحث بجمع البيانات المرتبطة بالظاهرة، ومن ثم يقوم بتصنيفها وتحليلها ، وللملاحظات نوعين الأول مقصودة، وهي التي يسعى الباحث لتحليها، والثاني ملاحظات غير مقصودة والتي يكتشفها الباحث بالصدفة.

– بعد ذلك يقوم الباحث بوضع عدة فرضيات ويختار منهم الفرضية الصحيحة.

–ومن ثم يقوم بإجراء مجموعة من التجارب ليتأكد من صحة الفرضية.

وهكذا نرى أن مناهج البحث العملي متعددة وقديمة للغاية، ولكل منهج من هذا المناهج له استخدامات تختلف عن استخدامات المنهج الآخر، وتهدف مناهج البحث العلمي إلى اكتشاف حقائق جديدة تفيد العلم، وإلى تفسير الظواهر الموجودة في هذا العالم، والتأكد من صحتها، لكن يجب على الباحث أن يكون حريصا على اختيار المنهج الذي يلائم البحث العلمي الذي يقوم به، وذلك لأن اختبار المنهج الخاطئ يؤدي إلى نتائج خاطئة، لذلك يجب على الباحث أن يطلع على هذه المناهج، وأن يعلم بكافة تفاصيلها.